الباب الثاني

اشارات القرآن ..والطب النفسي

الإعجاز في خلق الإنسان..

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [سورة الذاريات:٢١]

لما كانت الأمراض العصبية والنفسية هي النتيجة النهائية لإضطرابات في وظيفة المخ الذي يمثل الجزء الرئيسي في الجهاز العصبي ويهيمن على كل الوظائف الجسدية والعقلية للإنسان فإن دراسة تركيب ووظائف المخ تدخل بنا في منطقة بالغة الأهمية والدقة .. إنه العضو الرئيسي في الإنسان وغيره من الكائنات .. ويتضمن الكثير من الأسرار التي لازال العلم يكتشف بعضها كل يوم .. فالمخ في الإنسان يفوق في تركيبه وعمله أكبر الحاسبات الآلية (أجهزة الكمبيوتر) وأكثرها تعقيداً .. وهنا نعرض بعض الحقائق والتأملات العلمية .. والمعلومات التي تتجلى من خلالها قدرة الخالق العظيم .

ولا يتعدى وزن المخ في المتوسط ١٢٠٠ جرام ، أي أكثر قليلاً من الكيلوجرام . ويعني ذلك أنه يشكل حوالي ٢٪ من الوزن الإجمالي لجسم الإنسان كله . ورغم ذلك فإنه نظراً لأهمية وطبيعة وظائفه يحصل على أكثر من ١٥٪ من غذاء الإنسان عن طريق الدورة الدموية !

ونظراً لأهمية المخ الخاصة أيضاً فإن حمايته من المؤثرات الخارجية مكفولة بنظام قوي من صنع الخالق سبحانه وتعالى . فهو محاط بعظام الجمجمة الصلبة . أما بقية الجهاز العصبي المركزي وهي النخاع الشوكي فإن حمايته تكفلها

عظام العمود الفقري التي تحيط به . ويبلغ حجم الجمجمة للإنسان ١٥٠٠ سم^3 تقريباً . ويوجد بداخلها المخ يحيط به السائل المخي وكميته حوالي ١٥٠ سم^3 ويتكون المخ بصفة رئيسية من نصفي كرة . والجزء الأهم هو القشرة أو الطبقة السطحية لنصفي الكرة حيث يتوقف على مكوناتها من الخلايا كياننا كآدميين نعقل ونفكر ونتحكم . ورغم أن حجم المخ صغير نسبياً فإن الكثير من ـلافيف تزيد من مساحة سطح المخ والقشرة التي ذكرناها لتصل إلى مساحة ١٦٠٠ مم^2 مع أن سمكها لا يزيد عن٢.٥ مم. وهنا يطرح السؤال:

كيف يتغذى مخ الإنسان ليقوم بوظائفه ؟

بداية نقول أن الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة . فعلى الرغم من التقدم العلمي الهائل الذي حقق الكثير من الإنجازات في كل مجال فإن الغموض لا يزال يحيط بتركيب المخ والطريقة التي يؤدى بها وظائفه. وهناك الكثير من الأسرار لم يتوصل العلم إلى فهمها بعد . وسنذكر فيما يلي بعض الحقائق عن الطريقة التي يتغذى بها المخ ليقوم بوظائفه .

إن طبيعة عمل المخ وأهميته تتطلب أن يتوفر له ما يحتاجه من تغذية بالدم والأكسجين بالدرجة الأولى قبل بقية أعضاء الجسم والأنسجة الأخرى . ويقوم بذلك نظام من الأوعية الدموية تعمل تحت مراقبة عدد كبير من الإشارات التي يصدرها المخ أيضاً لضمان إستمرار هذه العملية وتصحيح أي خلل فيها بصورة فورية . ولنا أن نتصور دقة هذه العملية إذا علمنا أن الدم يتدفق بكمية اكبر من المعتاد إلى أماكن معينة في المخ في أثناء التفكير العميق عند حل إحدى المسائل المعقدة مثلاً .. كما أن الأرقام تؤكد أن طول الأوعية الدموية الشعرية الدقيقة في ١مم^3 من المخ يصل إلى ١٤٠٠ مم . أما مساحة سطح جدران هذه الأوعية متساوي ٥٠٠مم^2 . فإذا إفترضنا أننا سوف نقوم بمد هذه الأوعية الدموية الدقيقة في مخ

الإنسان في خط واحد مستقيم فإنها سوف تبلغ ١١٢٠ كيلومتراً .. أي ما يزيد على المسافة من الإسكندرية إلى أسوان ، وأكثر من المسافة بين القاهرة والقدس !!!

والأوعية الدموية التي تغذي المخ لها تركيب خاص معقد للغاية ، فكل وعاء منها له ما يشبه الإدارة الخاصة حيث يتلقى أوامر من مراكز في الجهاز العصبي تستقبلها مراكز أخرى في جدران الأوعية ذاتها ، وتحمل الإشارات أوامر لهذه الأوعية بأن تتسع أو تتقلص عن طريق عضلات دقيقة بحيث تقل أو تزداد كمية الدم التي تتدفق فيها لتغذى المخ ككل أو لكل منطقة منه على حدة ..

بقي أن نعرف أن هذه المنظومة الهائلة من أوعية الدم التي تغذي مخ الإنسان يمر خلالها مالا يقل عن $\frac{3}{4}$ لتر من الدم كل دقيقة .. وبحسبة بسيطة نجد أن الدم الذي يصل إلى المخ يزيد على كمية متر مكعب في اليوم الواحد !!

الإعجاز في خلق الإنسان.. كيف يؤدي المخ عمله ؟

..لا أستطيع أن أزعم أن العلم قد توصل إلى الشيء الكثير في مجال كشف وفهم الطريقة التي يؤدي بها المخ عمله ، فالأمور التي لم يتوصل الطب إلى إدراكها أكثر من تلك التي تم التوصل إليها حتى وقتنا هذا ، ولكي نتصور معاً الإعجاز الهائل في أداء المخ لوظيفته تخيل معي أننا أحضرنا عدداً كبيراً جداً من الموظفين ووضعناهم جميعاً في غرفة ضيقة جداً وطلبنا من كل منهم أن يقوم بعمله دون أن يتأثر بمن حوله ، إن ذلك بغير شك شئ مستحيل وغير ممكن ، فلابد في وضع كهذا من حدوث كثير من التداخلات والفوضى .. قارن معي ما يحدث داخل مخ الإنسان ..

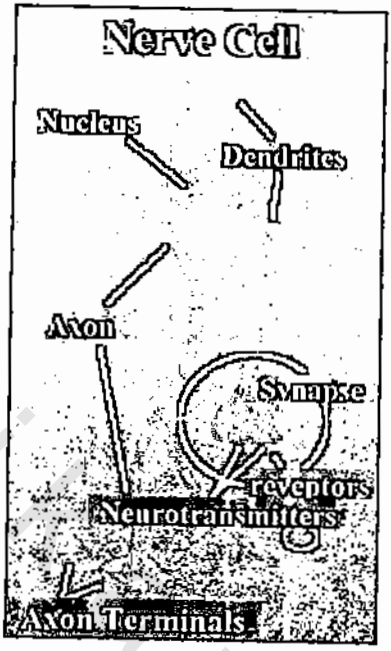

الخلية العصبية..

وحدة بناء الجهاز العصبي..مليارات الخلايا لكل منها وظيفة محددة.

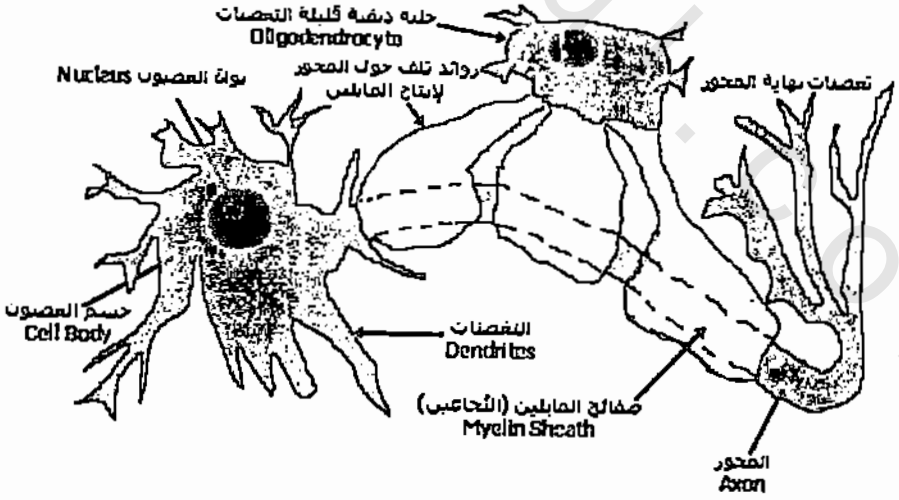

إن مخ الإنسان يتكون من الخلايا العصبية ويبلغ عددها من ١٥ إلى ٢٠ مليار خلية ، وهذه هي الوحدات التركيبية والوظيفية التي يقوم كل منها بعمل محدد في تنسيق مع بعضها البعض ، وهذه جميعاً تزدحم في حيز ضيق محدود فكيف إذن تقوم كل منها بوظيفتها دون فوضى أو تداخل ، ذلك إعجاز من صنع الخالق سبحانه وتعالى .

أما كيف يتم التفاهم والتنسيق بين هذه المليارات من الخلايا حتى لا يحدث تضارب في ما يصدر عنها من إشارات ، فإن ذلك يتم عن طريق إنتقال المؤثرات فيما بين الخلايا العصبية في إتجاهات محدودة وفق نظام دقيق ، وذلك عن طريق مواد كيميائية طبيعية يفرزها المخ وتسمى الموصلات العصبية . وينتج عن ذلك إنتشار موجات كهروكيميائية هي في الواقع شحنات كهربائية دقيقة تعطي إشارة تنتقل في إتجاهات معينة لأداء وظيفة ما ، وليس ما نراه من تشنجات حركية وعصبية في حالات الصرع سوى خلل يعتري طريقة إنتشار هذه الشحنات الكهربائية وموضعها وشدتها ويؤدي في النهاية إلى حدوث النوبة

عقل الإنسان.. والحاسب الآلي الكومبيوتر :

لعل ما ذكرت هنا من حقائق وأرقام عن مخ الإنسان والنبذة التي تعرضنا لها حول وظيفته وتركيبه المعقد هو ما يدفع البعض أحياناً إلى المقارنة بين العمليات العقلية التي يؤديها المخ وتلك التي يقوم بها ذلك الجهاز المتقدم الذي توصل إليه العلم والإختراع وهو الكومبيوتر أو الحاسب الآلي والذي يقوم بإنجاز عمليات حسابية هائلة في وقت قياسي .

ولقد كانت المقارنة على الدوام في صالح الإنسان من حيث إمكاناته وقدراته الهائلة على التعامل مع جميع العمليات العقلية ، ومن حيث الذاكرة والذكاء والقدرة على الإختيار والتمييز ، وقد وجد أن الحاسب الآلي الذي يمكنه أن يؤدي بعض العمليات العقلية المماثلة لقدرات المخ البشري لابد أن يكون حجمه هائلاً للغاية بالمقارنة لحجم المخ الصغير داخل الجمجمة ، وربما كان وجه الشبه بين مخ الإنسان والكومبيوتر هو أن أخطاء البرمجة أو خلل الكومبيوتر تؤدى إلى نتائج غير سليمة في أداء الكومبيوتر ، وكذلك فإن المؤثرات الخارجية والخلل العضوي في وظيفة المخ قد يؤدي إلى ظهور أعراض الأمراض العصبية والنفسية مثل حالات الإكتئاب، والفصام العقلي، والصرع .

وبعد فقد كانت هذه التأملات في المعلومات التي أزاح بها علماء النفس الستار عن بعض أسرار المخ الإنساني .. ذلك العضو الذي يزن نحو كيلو جرام واحد لكن تتجلى في تركيبه وقيامه بالوظائف العقلية كل معجزات الله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات:٢١] .. فسبحان الخالق العظيم .

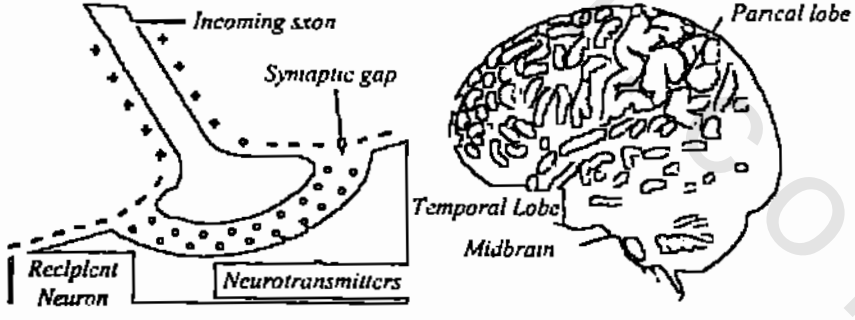

والإكتئاب النفسي هو أحد أهم أمراض العصر الحالي، وقد ورد في تقارير منظمة الصحة العالمية أنه يصيب نسبة ٧٪ من سكان العالم حالياً، وعند دراسة التغييرات التي تحدث في الجهاز العصبي لمرضى الإكتئاب تم إكتشاف وجود نقص

في بعض المواد الكيميائية داخل المخ منها مادة "السيروتونين "*Serotonin* . ومادة "نورابنفرين " *Norepinephrin*، ورغم أن هناك خلافاً حول ما إذا كان ذلك هو السبب في مرض الاكتئاب أو حدث نتيجة للإصابة بالمرض فإن الأطباء النفسيين يعلمون جيداً أن تعديل هذا الخلل الكيميائي بواسطة الأدوية التي تزيد من نسبة هاتين المادتين يؤدي إلى تحسن حالة مرضى الإكتئاب بصورة ملحوظة مهما كانت الأسباب التي أدت إلى الإصابة بالإكتئاب .

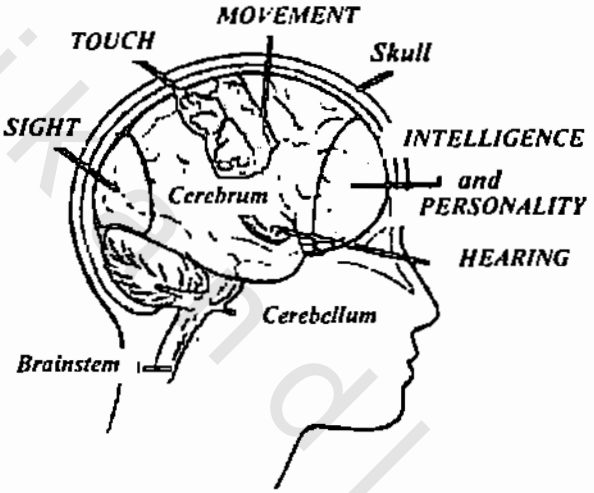

وهذه الحقائق التي توصل إليها علماء الطب النفسي حول كيمياء الجهاز العصبي وما يعتريها من تغييرات في حالة الصحة والمرض هي دليل آخر على قدرة الخالق العظيم وعلامة من علامات الإعجاز في تكوين العقل والجسد في الإنسان .. ولعل هذه دعوة للتأمل في خلقه سبحانه وتعالى في أنفسنا في ضوء ما وصل إليه علمنا الذي هو قليل من كثير.. فسبحان الخالق العظيم .

الجنون.. في الطب النفسي والمنظور القرآني

لعل الأمراض النفسية من اكثر الموضوعات التي يحيط بها الغموض الذي يدفع الناس إلى تبني أفكار وتصورات غير واقعية حولها، ومعتقدات غريبة عن أسباب المرض النفسي، الذي يتعارف العامة علي وصفه بحالة "الجنون" وعن المرضي النفسيين الذين يطلق الناس عليهم وصف "المجانين" وتمتد المفاهيم الخاطئة لتشمل تخصص الطب النفسي بصفة عامة، والذي اصبح اليوم رغم كل التطورات الحديثة في أساليب العلاج موضع نظرة سلبية من جانب مختلف فئات المجتمع .. ولعل ذلك هو ما دفعني إلى تناول هذه القضية الهامة ليس دفاعا عن الطب النفسي بل من أجل تصحيح بعض المفاهيم السائدة بعرض بعض الحقائق والآراء حتى نتبين الجانب الآخر من الصورة.

الجنون والمجانين :

بداية فإنني - بحكم عملي في مجال الطب النفسي - أؤكد أنه لا يوجد مرض نفسي أو عقلي اسمه " الجنون " بل إن هذا اللفظ لا يعني بالنسبة لنا في ممارسة الطب النفسي أي مدلول ولا يعبر عن وصف لحالة مرضية معينة، غير أننا لا نستطيع إنكار حقيقة هذا الوصف المتداول بصورة واسعة الانتشار بين الناس من مختلف الفئات لوصف المرضي النفسيين (حيث يطلق عليهم المجانين) وأحيانا يمتد هذا الوصف ليشمل كل ماله علاقة بالطب النفسي، فكل من يتردد علي المستشفيات والعيادات النفسية هو في الغالب في نظر الناس جنون، وانطلاقا من ذلك فإن المستشفي هي مكان للمجانين والأطباء النفسيين أيضا هم "دكاترة المجانين"!

ولا يخفي علي أحد أن استخدام هذه المصطلحات له وقع سيئ للغاية فوصف أي شخص بالجنون لاشك هو وصمة أليمة تلصق به، وتسبب له معاناة تضاف إلى مشكلته الأصلية التي تسببت في اضطراب حالته النفسية. فكأن المصائب لا تأتي فرادى بالنسبة لمرضي النفس الذين هم في أشد الحاجة إلى من يتفهم معاناتهم ويحرص علي عدم إيذاء مشاعرهم المرهفة. فقد يتسبب المحيطون بالمريض النفسي من أهله وأصدقائه ومعارفه في إضافة المزيد من الآلام النفسية إلى ما يعاني منه من اضطراب نفسي حين يقومون ولو بحسن نية باستخدام بعض المفردات التي يفهم المريض منها انه قد اصبح اقل شأنا من المحيطين به.ولنا أن نعلم أن معظم مرضي النفس يتميزون بحساسية مفرطة تجاه نظرة الآخرين لهم وهذا جزء من مشكلتهم النفسية. فكأننا حين نؤذي مشاعرهم المرهفة بالإشارة أو حتى التلميح كمن يلهب بالسوط ظهر جواد متعب ومنهك أصلا.

وقد حاولت أن ابحث عن المعني اللغوي لكلمة " الجنون " بدافع الرغبة في معرفة اصلها لكنني وجدت نفسي في متاهة متشعبة. فالأصل هو كلمة "جَنَّ" وتعني اختفي، ومنها جن الليل أي اخفت ظلمته الأشياء، ومنها أيضا "الجنة" التي تعني الحديقة أو الشجر الكثير الذي يخفي ما بداخله. أما صلة هذا الاشتقاق بالعقل فإن العقل إذا جن فإنه قد استتر واختفي. فالشخص إذن "مجنون" ويقال أيضا إن الجن وهم المخلوقات التي تقابل الإنس تأتي تسميتهم تعبيرا عن اختفائهم عن الأبصار.. وأرى أن اكتفي بذلك لأن ما قرأت من اشتقاقات وتفسيرات مختلفة لا يكفيه كتاب كامل. لكن عموما فإن ما يمكن أن نستنتجه من ذلك هو العلاقة غير المباشرة بين تعبير الجنون ووصف المرض النفسي والتي لا تتميز بالدقة حتى من الناحية اللغوية ناهيك عن الناحية النفسية حيث لا يعني الجنون أي مدلول علمي أو وصف لمرض نفسي محدد كما ذكرنا.

وبالإضافة إلي ذلك فإن لنا أن نعلم أن الأمراض النفسية (التي يطلق عليها جوازاً الجنون) تضم مجموعات كثيرة من الحالات المرضية تتفاوت في شدتها وأسبابها وطرق علاجها، ويكفي أن نعلم أن هناك ما لا يقل عن ١٠٠ مرض نفسي وعقلي معروف للأطباء النفسيين، وتضمها مراجع الطب النفسي بوصف كامل لكل منها. وهنا نتساءل أي هذه الحالات هو ما يصفه الناس بمرض الجنون! أننا نتطلع إلى ذلك اليوم الذي يتراجع فيه استخدام هذا اللفظ الأليم علي المشاعر.

المعنى اللغوي لكلمة " الجنون "؟؟.. فالأصل هو كلمة "جَنَّ" وتعني إختفى. ومنها جن الليل أي أخفت ظلمته الأشياء، ومنها أيضا "الجنة" التي تعني الحديقة أو الشجر الكثير الذي يخفي ما بداخله. أما صلة هذا الإشتقاق بالعقل فإن العقل إذا جن فإنه قد إستتر وإختفى. فالشخص إذن "مجنون" ويقال أيضا إن الجن وهم المخلوقات التي تقابل الإنس تأتي تسميتهم تعبيراً عن إختفائهم عن الأبصار.

وقد ورد لفظ "مجنون" في ١١ موضعا في كتاب الله:

- ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الحجر:٦]
- ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الشعراء:٢٧]
- ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة الصافات:٣٦]
- ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴾

[سورة الدخان١٣ :١٤]

- ﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَـٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾

[سورة الذاريات٣٨ :٣٩]

- ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [سورة الذاريات:٥٢]

- ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الطور:٢٩]
- ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة القمر ٩]
- ﴿ ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة القلم١ :٢]
- ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ [سورة القلم:٥١]
- ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة التكوير:٢٢]

ونوضح هنا منها:

﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة القلم.٢] (ويقولون إنه لمجنون) .. وردت هذه الآيات في سورة القلم وفيها وصف مجنون الذي إحتوت عليه نفس السورة بعد القسم بحرف﴿ن﴾ الذي إستهلت به السورة ثم بعد ذلك القسم بـ ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ويبدو وكأنه جواب هذا القسم في الآية التالية ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ وقد ورد وصف مجنون في مواضع كثيرة في آيات القرآن الكريم وهي في أغلب الحالات وصف أطلقه الناس على ما لا يصدقون مما يأتي به أنبياء الله ورسله وكان في أغلب المناسبات التي ذكر فيها في آياته القرآن الكريم هو ما يقوله الكفار عن الرسول الكريم حين جاء إليهم بالدعوة التي رفضوا التصديق بها فلم يكتفوا بالعناد والكفر بل حاولوا التشكيك في القوى العقلية لمن جاء بها، وقد حدثت مواقف متشابهة جاءت في آيات القرآن الكريم في تكذيب أنبياء الله ورسله من أقوامهم جاء فيها قول قوم صالح ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ...﴾ [سورة هود:٦٢] وقوم شعيب وهم يلومونه﴿.. إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [سورة هود:٨٧] ،﴿...مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ...﴾ [سورة هود:٩١] وقول قوم هود ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ...﴾ [سورة هود:٥٤] وهذه أمثلة لما واجه

أنبياء الله ورسله وهم يدعون الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد وهنا نلقي الضوء على منظور كلمة ﴿مجنون﴾ من منظور الطب النفسي.

ويحكم عملي في مجال الطب النفسي - أؤكد أنه لا يوجد مرض نفسي أو عقلي اسمه " الجنون " بل إن هذا اللفظ لا يعني بالنسبة لنا في ممارسة الطب النفسي أي مدلول ولا يعبر عن وصف لحالة مرضية معينة. غير أننا لا نستطيع إنكار حقيقة هذا الوصف المتداول بصورة واسعة الإنتشار بين الناس من مختلف الفئات لوصف المرضى النفسيين (حيث يطلق عليهم المجانين) ولا يخفى على أحد أن إستخدام هذه المصطلحات له وقع سيئ للغاية. فوصف أي شخص بالجنون لاشك هو وصمة أليمة تلصق به.

وبعد فقد كان هذا التناول لإشارات القرآن الكريم في آيات متعددة إلى وصف ﴿مجنون﴾ والسياق الذي فيه الإشارة إلى مفهوم الجنون قبل أن يتناوله الطب النفسي.

النفس في القرآن :

وردت كلمة النفس في القرأن الكريم في ٢٩٥ مائتين وخمس وتسعين موضعا ، وهناك فرق بين النفس والروح رغم أن هناك إنطباعا بتقارب المعنى بين اللفظين غير أن الروح من أسرار الخالق ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ... ﴾ [سورة الإسراء:٨٥] ، وهناك عدة معاني للكلمة النفس في القرآن نذكر منها :

- تعني كلمة النفس في بعض الآيات ذات الله تعالى ، ومثال ذلك:
- ﴿... تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ ... ﴾ [سورة المائدة:١١٦] .
- ﴿... كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ .. ﴾ [سورة الأنعام:١٢] .
- ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة طه:٤١] .

- ﴿... وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ...﴾ [سورة آل عمران ٢٨] .
- ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الفجر:٢٧] .
- ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ...﴾ [سورة يوسف:٥٣].

النفس الانسانية في آيات القرآن الكريم كيان له صفاته وعلاماته المميزة

مثال ذلك :

- النفس تموت وتقتل ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ...﴾ [سورة الأنبياء ٣٥] ، ﴿...وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ ...﴾ [سورة النساء:٢٩] .
- ﴿...وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ ...﴾ [سورة الأنعام:١٥١] .

من الآيات الكريمة التي ورد فيها القسم في القرآن الكريم:

- ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾﴾ [سورة الشمس:٧]

ولكي نقترب من المفهوم العلمي للنفس الانسانية علينا أن نتخيل تأثير التغييرات الكيميائية داخل الجهاز العصبي على الحالة النفسية وعلى حالة الجسد أيضا لنفترض مثلا أن أي واحد منا قد تعرض لموقف فيه خوف أو ضغط نفسي شديد فإن رد الفعل المعتاد هنا أن نشعر في مثل هذه المواقف بدقات القلب السريعة ورعشة في الأطراف وشحوب الوجه وتصبب العرق. وهذه العلاقات هي مظاهر للقلق والتوتر لكنها حدثت نتيجة لسلسلة تبدأ من خلايا قشرة المخ التي تقوم بوظيفة التفكير، وبعد ذلك تصدر إشارات كهربائية وكيميائية إلى مناطق أخرى من الجهاز العصبي مثل الأجزاء الداخلية من المخ ومنطقة تحت المهاد التي يتم فيها إفراز مواد كيميائية تمثل إشارات إلى مراكز أخرى وإلى غدد الجسم لإفراز مواد تنطلق إلى الدم مثل مادة " الأدرينالين " التي تقوم بمهمة دفع الدم في القلب والشرايين بقوة وإعداد الجسم لمواجهة موقف القلق أو الخوف أو التهديد .. ويحدث ذلك كله بصورة تلقائية منظمة وخلال ثوان معدودة . وفي التجارب التي

يجريها علماء النفس على بعض الحيوانات لدراسة سلوكياتها ثم اكتشاف مراكز معينة داخل الجهاز العصبي تقوم بإفراز مواد كيميائية تتسبب في شعور الإطمئنان والهدوء والإرتياح، والمواد الكيميائية التي ترتبط بذلك أطلق عليها " الأفيونات الداخلية " لأن لها تأثير مهدئ ومطمئن يشبه تأثير الأفيون على المدمنين وهي الاندروفينات *Endorphins* والانكفالينات *Encephalins* وعلى العكس من ذلك فإن الغضب والتوتر والقلق والإكتئاب ترتبط أيضاً بتغييرات كيميائية في مراكز بالجهاز العصبي أمكن اكتشاف الكثير منها حالياً.

الحسد وتأثير العين:

هناك نسبة كبيرة من مرضى العيادة النفسية يرجعون ما أصابهم من مرض الى الحسد وتأثير العين ، بل أن منهم من يحدد مصدر العين واليوم والساعة التى تعرض فيها لتأثيرها ، وهناك من يؤمن بتأثيرالعين ويسلم بذلك بصورة مطلقة ولا يحاول البحث عن سبب أخر لمرضه ، كما أن هناك من يعزو الى الحسد فقد الممتلكات وتحطيم الأشياء ، وحوادث السيارات ، وكل ما يصيب الصحة الجسدية والنفسية .

وأذكر حالة مدرس في الثلاثين من عمره بدأ يعانى من مشكلة غريبة هى عدم القدرة على الكتابة بيده اليمنى، وكان ذلك يعوقه عن تحضير الدروس، لكنه أحياناً كان يستطيع الكتابة بنفس اليد والرسم واستخدام أصابعه بصورة طبيعية اذا كان في مكان أخر غير مكان عمله أو حين يكتب شيئاً لا يتعلق بالمواد التى يقوم بتدريسها، وحين تم تحليل هذه المشكلة في العيادة النفسية ذكر هذا المدرس أن ما حدث له كان من تأثير الحسد حيث أن زميلاً له معروف بقدرته على الحسد رآه وهو يكتب بخط جميل فعلق على ذلك قائلاً أن هذا الخط يفوق على الذى الذى

يكتب بواسطة "الكومبيوتر".. ومنذ هذه اللحظة فقد المدرس قدرته على الكتابة بهذه الصورة.

ومن خلال ملاحظاتي على المرضى الذين يرجعون كل متاعبهم الى الحسد نجد أنهم من أولئك الذين يرجعون الذين يتميزون بقابليتهم للأيحاء بسهولة حيث تسيطر عليهم فكرة أصابتهم بالعين . وهناك أشخاص يقال أنهم أكثر عرضة للحسد مثل الأثرياء . والأطفال. والذين يتمتعون بقدر من الوسامة والجمال والسيدات خصوصاً أثناء الحمل. كما أن هناك من يحوّم حولهم الشك في أنهم مصدر للحسد مثل ذوى العاهات البدنية . والجيران والأقارب . والفقير أو الجائع وتعساء الحظ في الحياة . والأهم من ذلك شخص معين ذكر تعليقاً أو تمتم بكلمة أعجاب أو شيء من ذلك.

وقد ورد الحسد في القرآن في هذه المواضع:

- ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة البقرة:١٠٩] .
- ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة النساء: ٥٤].
- ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة الفتح ١٥]

كما وردت الاستعاذة من الحسد في قوله تعالى:

- ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة الفلق:٥].

والسؤال الذى يطرح هنا : أين الحقيقة ؟...

إننا نؤمن تماماً بكل ما ورد في القرآن الكريم حول الحسد ، لكن الألتزام بالكتاب والسنة لا يجب أن يقودنا الى التصديق بأمور تفتح الطريق الى كثير من البدع والخرافات التى يروج لها المشعوذون، وهناك أمور لا يملك أحد أن يؤكدها أو ينفيها مثل دخول الجن الى داخل جسد الأنسان أو قدرته على التسبب له في الأذى ، وكذلك أثر العين على الأنسان والقدرة على تجنبه ، والحقيقة أن الدفاع الأمثل هذه الأمور هو التمسك بالإيمان القوى بالله تعالي والتسليم بأن شيئا لن يصيبنا إلا ما كتبه الله سبحانه لنا .

والحقيقة أننا من وجهة النظر النفسية - نحاول دائما أن نتمسك بالحقائق العلمية المدروسة في تناولنا لتلك الأمور، ونقوم بعلاج هذه الحالات وفق الخط الطبي والنفسي الذي نعلمه دون التوقف كثيرا أمام الاعتبارات الخفية في الموضوعات التي تخص الصحة والمرض .

كلمة أخيرة..هي نصيحة الطب النفسي إليك..دع عنك الاستغراق في التفكير في هذه الأمور التي قد تدفعك إلي القلق والاضطراب..وكل ما عليك هو أن تتفاءل وتبتسم للحياة..وقبل ذلك وبعده تتوكل علي الله في أمرك كله.

- ومن هنا كانت هذه الدعوة العامة للمرضى والأصحاء أيضاً للصحة النفسية والشفاء عن طريق الرجوع إلى القرآن والسنة وروح الدين الإسلامي، وبالفرار إلى الله واللجوء إليه، وفي الطريق إلى عرفات الله نذكر أنفسنا ونتأمل بعض الحقائق:

وبعد فقد كنا مع هذه التأملات بين العلم الحديث والطب والصحة النفسية وعلاقة ذلك بالمنظور الديني .. ورأينا أننا حين نفكر قليلاً نجد أن الحل

والمخرج من غالبية ما نواجهه من مشكلات وأزمات في حياتنا هو بالعودة إلى الله سبحانه وتعالي.

والإشارات التي وردت في آيات القران الكريم تسبق ما جاء في مراجع علم النفس والطب النفسي الحديث بمئات السنين حول هذا الموضوع الذي لم يتم التوصل سوي للقليل من المعلومات حول أسبابه وتشخيصه وعلاجه. فسبحان الله الحكيم الذي أحاط بكل شئ علما

obeikandl.com

أعمال الشيطان .. والمرض النفسي

هناك اعتقاد قوى لدى قطاعات كبيرة من الناس خصوصاً المصابين باضطرابات نفسية وأقاربهم بأن هناك قوى خفية تسببت في إصابتهم بالمرض النفسي، وهم يتفقون علي ذلك وكأنه حقيقة مسلم بها، ويظل الخلاف في الكيفية التي يعمل بها الجن أو الشياطين فيتصور البعض انهم يدخلون إلى داخل جسد الإنسان ويسببون له الاضطراب الذي لا يشفي إلا بخروجهم منه، ويعتقد البعض الأخر أن مجرد المس من جانب هذه المخلوقات يكفي لحدوث المرض، ويرى آخرون أن المسألة هي وساوس يقوم بتوجيهها الشيطان إلى ضحاياه عن بعد .. وهنا أتناول بعض الجوانب النفسية للعلاقة بين الشيطان والمرض النفسي.

والشيطان في كل الحالات متهم بأنه السبب الرئيسي وربما الوحيد وراء المرض النفسي علي وجه الخصوص أحيانا بعض الحالات المرضية الأخرى، ويدفع هذا الاعتقاد الكثير من المرضي إلى طلب العلاج لدى الدجالين والمشعوذين الذين يتعاملون مع الجن والشياطين دون التفكير في اللجوء إلى الطب النفسي إلا بعد مرور وقت طويل من المعاناة .

ويحكم العمل في الطب النفسي فإن نسبة لا تقل عن ٧٠٪ من المرضي يذهبون في البداية إلى المعالجين الشعبيين أو المشعوذين قبل أن يفكروا في زيارة الطبيب النفسي، ورغم انه لا يوجد دليل واحد علي علاقة الشيطان بالأمراض النفسية فإن بعضا من المتعلمين إلى جانب البسطاء لا يستطيع فهم الحقائق العلمية التي تؤكد أن غالبية الأمراض النفسية الرئيسية قد تم التوصل إلى معرفة أسبابها وأنها نتيجة تغييرات كيميائية في الجهاز العصبي يمكن علاجها عن طريق

تعديل الخلل الذي يعاني منه المريض باستخدام الأدوية النفسية الحديثة ، وكما سنعرض نماذج لذلك في هذا الموضوع فإن الشيطان ليس له دور مطلقاً في هذه المسألة .

عندما يتكلم الشيطان !!

من الحالات الغريبة التي يتناقل الناس الحديث حولها في المجتمعات العربية حالات لمرضي يغيبون عن الوعي ويبدأ الشيطان أو الجن في الحديث من داخلهم !! .. فالكلام يصدر عنهم لكنه بنبرات وأسلوب يختلف عن طريقتهم المعتادة في الحديث ، والكل هنا يؤكد أن المتحدث هو المخلوق الغريب بداخلهم، وربما يذكر هذا المتحدث اسمه وديانته والمكان الذي حضر منه فهناك الجن الكافر، وهناك الشيطان الصغير، والفتاة المثقفة، والمرأة التي تبدى رغبتها في الزواج من المريض أو الرجل الذي يؤكد انه يحب ضحيته ولن يتركها، وكل هذه نماذج من الشياطين الذين يتحاورون مع المحيطين بالمريض وكثيراً ما يقدم الواحد منهم بعض المطالب حتى يتخلى عن المهمة التي يقوم بها مع هذا المريض ويتركه وشأنه .. والكلام هنا مؤكد، وتسمعه من مصادر كثيرة لدرجة أن بعض الناس يقول لك أن لديه تسجيلات لهذه الوقائع بصوت الشيطان نفسه حتى يصدق الجميع ذلك .. فما تفسير هذا من وجهة نظر الطب النفسي !؟

والواقع أنني شخصياً قد استمعت إلى مثل هذه الأشياء في حياتي العملية عدة مرات .. لكن هذه الحالة أيضا لا علاقة لها بالشيطان نهائياً، والمتحدث هنا هو المريض نفسه وهو في حالة نطلق عليها التحول الهستيري يغيب فيها عن الوعي مؤقتاً وتظهر بعض محتويات عقله الباطن فيقوم بالتنفيس عن بعض رغباته المكبوتة ويهرب من الواقع والضغوط التي لا يحتملها فيتصور الجميع أن بداخله

شيطان يتكلم، وهذه الحالات لا تحتاج إلى جلسات " الزار " أو الذهاب إلى الدجالين، أو ضرب المريض بقسوة لإخراج الجن، كل ما في الأمر هو تهدئة المريض وبحث حالته النفسية والتعامل مع الضغوط التي يتعرض لها ، وهنا تتحسن الحالة دون تعامل مع الشيطان .

الأصوات والخيالات والوساوس .. مرضية أم شيطانية !؟

مرض الوسواس القهري .. وقد ارتبط هذا المرض في الأذهان بوساوس الشياطين بسبب التشابه بين مسمي " الوسواس القهري " ووصف الشيطان " الوسواس الخناس " الذي ورد في القرآن الكريم، لكن إذا علمنا أن الوسواس القهري قد اصبح من الأمراض التي تم كشف النقاب عن الكثير من أسرارها، وان هذه الحالات لها علاقة ببعض المواد الكيميائية في المخ مثل مادة " السيروتونين " التي يتسبب اختلالها في أعراض هي : أعمال وسواسية في صورة تكرار أفعال وطقوس لا معني لها مثل غسل الأيدي، أو الطهارة عند ملامسة أي شئ . أو التمتمة بكلمات أو أعداد معينة قبل بدء أي عمل، أو إعادة الوضوء عدة مرات قبل الصلاة. وأفكار وسواسية مثل الانشغال والاستغراق في التفكير في موضوعات تافهة وقضايا لا حل لها مثل مسألة البيضة والدجاجة ومن الذي أتى أولا!؟ .. أو البحث في شكل الشيطان وماذا يأكل وكيف يعيش ؟ .. أو أفكار دينية أو جنسية لا معني لها تشغل التفكير وتعوق الشخص عن مزاولة حياته . .ومخاوف وسواسية لا أساس لها من أشياء ليست مصدر خوف علي الإطلاق. . وكل هذه الصور لحالات الوسواس حالات مرضية يتعامل معها الطب النفسي حالياً بالعلاج الدوائي الذي يعيد الاتزان النفسي .. ولا علاقة للشيطان بكل هذه الوساوس المرضية .

أما الهلاوس *Hallucinations* فهي أن يتصور المريض انه يرى أشباحا أو يسمع أصواتا تتحاور معه أو تهدده أو تأمره بأن يفعل أشياء معينة. وقد يفسر الناس ذلك بأن الشياطين هي التي تفعل ذلك. لكن ومن وجهة نظر الطب النفسي هي وجود خلل في جهاز الاستقبال لدى المريض يجعله يستقبل صوراً وأصواتا لا وجود لها. وهذه الحالات أيضا تتحسن بالعلاج بالأدوية الحديثة ولا دخل للشيطان في هذه الأعراض النفسية المرضية التي تحدث في مرضي الفصام والأمراض العقلية الذهانية.

مرض الصرع .. ومس الشيطان :

يعتبر الصرع من اكثر الأمراض العصبية انتشاراً حيث يصيب ١/ من الصغار والكبار. ومن أعراضه حدوث نوبات عياب عن الوعي قد تكون شديدة أو خفيفة. وفي حالة النوبة الكبرى يسقط المريض علي الأرض في حالة تشنج يهتز لها كل جسده ويغيب عن الوعي نهائياً ولا يفيق إلا بعد مرور وقت طويل وتتكرر هذه النوبات في أي وقت وأي مكان. وقد كان التفسير الشائع لهذه النوبات أنها نتيجة مباشرة لمس الجن. وكان بعض الناس يستندون إلى التشبيه الذي ورد في آيات القرآن الكريم.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوٰا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٥]..لكن التعبير القرآني "الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ" هو من البلاغة التي يتميز بها اسلوب القرآن ولا علاقة لذلك بمرض ما... وظل مرض الصرع موضوعاً للكثير من الخرافات والأوهام، وتعرض

المرضي لكثير من الممارسات غير العلمية ظناً من الناس أن الأرواح والشياطين وراء حدوثه حتى كشف الطب الحديث حقيقة هذا المرض.

ونوبات الصرع كما تبين من خلال الأبحاث الطبية هي نتيجة لخلل في موجات المخ الكهربائية نتيجة شحنات زائدة من بؤرة نشطة تسبب اثارة الخلايا العصبية وتحدث النوبة نتيجة لذلك، ويمكن كشف ذلك ببساطة حالياً عن طريق جهاز رسم المخ EEG الذي يلتقط هذه الإشارات ويحدد شدتها ومكانها، كما يمكن علاج حالات الصرع عن طريق الأدوية التي تسيطر علي هذا الخلل الوظيفي في المخ ولا علاقة نهائياً للجن والشياطين والأرواح الشريرة بهذا المرض كما كان يعتقد من قبل.

وحول الشيطان والمرض النفسي فإننا نذكر بعض الحقائق العلمية الهامة، التي تمثل وجهة نظر الطب النفسي في هذه المسألة .. وهي:

- لا دخل للشيطان بالأمراض النفسية والعضوية التي تصيب الإنسان، وأسباب هذه الأمراض اكتشف الطب جوانب كبيرة منها، وتوصل إلى علاجها بعيداً عن أي قوى خفيه.
- لا يوجد ما يدعو إلى تعظيم شأن الشيطان بأن ننسب إليه أشياء كثيرة مع انه كما نعلم من نصوص القرآن اضعف من ذلك بكثير ولا يستطيع السيطرة علي الإنسان إلا من خلال قدرته المحدودة علي الإغواء لبعض الناس ممن لديهم الاستعداد لذلك.
- القضية التي ناقشناها هنا في هذا الحيز المحدود بعيدة عن أي جدل فقهي والمطلوب هو حملة توعية لتوضيح الحقائق حتى لا يختلط العلم والإيمان بالخرافة والدجل.

- الممارسات التي يقوم بها أدعياء الطب والدجل والشعوذة باستغلال معتقدات الناس حول الشيطان وعلاقته بالمرض النفسي يجب أن يتم وضع حد لها بعد أن تطور الطب وتوصل إلى كشف الكثير عن أسباب وعلاج هذه الحالات.

وأخيراً فإننا بعد مناقشة هذه النقاط فإننا لم نغلق هذا الموضوع بل نعتقد انه اصبح مفتوحاً لمزيد من الآراء بعد توضيح هذه الحقائق من وجهة النظر النفسية، ونرجو أن نكون قد وفقنا إلى إلقاء الضوء على هذه الجوانب الغامضة للأمراض النفسية.

الشيطان والمرض النفسي:

الشيطان معروف للجميع .. وهناك من الكتب والمؤلفات الكثير حول كل ما يتعلق به من النواحي الدينية . وقد صادفني مؤخراً بحث علمي بعنوان " الشيطان في الفكر الاسلامي " ، كما طالعت في احدى المكتبات عناوين لكتب منها " تلبيس ابليس " ، و " اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان " .. وغير ذلك كثير.. كما قرأت ان الشيطان ذكره في القرآن الكريم ٨٨ مرة وفي الاحاديث الشريفة ١٠٧٠ مرة ، وابليس ذكر في القرآن ١١ مرة وفي الحديث ٥٦ مرة ..

وحول الشيطان والمرض النفسي فإننا نذكر بعض الحقائق العلمية الهامة التي تمثل وجهة نظر الطب النفسي في هذه المسألة .. وهي :

لا دخل للشيطان بالامراض النفسية والعضوية التي تصيب الانسان واسباب هذه الامراض اكتشف الطب جوانب كبيرة منها ، وتوصل الي علاجها بعيداً عن اى قوى خفيه:

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [سورة البقرة:٢٦٨]

لا يوجد ما يدعو الي تعظيم شأن الشيطان بأن ننسب اليه اشياء كثيرة مع انه كما نعلم من نصوص القرآن اضعف من ذلك بكثير ولا يستطيع السيطرة علي الانسان الا من خلال قدرته المحدودة علي الإغواء لبعض الناس ممن لديهم الاستعداد لذلك ..قال تعالى:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة ١٠٢]

- القضية التي ناقشناها هنا في هذا الحيز المحدود بعيدة عن اى جدل فقهي والمطلوب هو حملة توعية لتوضيح الحقائق حتي لا يختلط العلم والايمان بالخرافة والدجل .

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

[سورة المؤمنون٩٧ :٩٨]

- الممارسات التي يقوم بها ادعياء الطب والدجل والشعوذة باستغلال معتقدات الناس حول الشيطان وعلاقته بالمرض النفسي يجب ان يتم وضع حد لها بعد ان تطور الطب وتوصل الي كشف الكثير عن اسباب وعلاج هذه الحالات .

قال تعالى:

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ٣٠]

ومن وسائل الوقاية الابتعاد عن المحرمات وهي الأصل في كثير من المشكلات، ذلك أن الشعور بالذنب والإثم في ساعات المرض والضعف قد يكون له أثر مدمر، والإيمان القوى بالله تعالي يجعل المرء في كل الأحوال يسمو فوق آلامه ومعاناته وينظر إليها علي أنها ابتلاء من الله يتعين عليه مواجهته بالصبر.

ووجهة النظر الإسلامية بالنسبة للعلاج من كل ما يصيب الإنسان من أمراضه يوضحها الحديث الشريف الذي يأمر بالتداوي..قال تعالى:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

[سورة الأعراف ٢٠٠ :٢٠١]

قال صلي الله عليه وسلم: "تداووا و لا تتداووا بحرام". (رواه ابو داود)

ونذكر ذلك لنؤكد أن تلاوة القرآن والأذكار والرقية الشرعية لا يتعارض استخدامها مع طلب العلاج الطبي، وهذا ما قصدنا توضيحه في حديثنا هذا عن المنظور الإسلامي لمرض، ولقد ورد في تحريم الدجل والشعوذة نصوص واضحة، قال صلي الله عليه وسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" (رواه مسلم) ولقد حرم الإسلام الابتداع في الدين والتقول علي الله بغير علم وهو بذلك يحارب المشعوذين الذين يستخدمون كثير من الوسائل هي كذب وخداع، ومنها السحر والاحجبة والتمائم والوصفات البلدية، وليس لكل هذه الوسائل مكان في علاج الأمراض العصبية والنفسية، وإن كانت تعتمد علي تأثير الإيحاء فقط لدى العامة من القابلين للتأثر بهذا الأسلوب، وقال صلي الله عليه وسلم: "اجتنبوا السبع

الموبقات"، قالوا: يا رسول الله وما هن، قال: " الشرك بالله والسحر.... الحديث" (متفق عليه)

وحرم الإسلام الأعمال التي يقوم بها المشعودون من عرافين وغير ذلك، وأمر الناس ألا يصدقوا هؤلاء الناس، قال صلي الله عليه وسلم: "من أتي عرافا أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل علي محمد" (رواه مسلم). والحقيقة أن الدفاع الأمثل ضده هذه الأمور هو التمسك بالأيمان القوى بالله والتسليم بأن شيئاً لن يصيبنا إلا ما كتبه الله سبحانه.

واخيراً وبعد مناقشة هذه النقاط فإننا لم نغلق هذا الموضوع بل نعتقد انه اصبح مفتوحاً لمزيد من الآراء بعد توضيح هذه الحقائق من وجهة النظر النفسية ، ونرجو أن نكون قد وفقنا الي القاء الضوء علي هذه الجوانب الغامضة للأمراض النفسية بما يزيل ما يحيط بها من الغموض .

الشيطان معروف للجميع..وهناك من الكتب والمؤلفات الكثير حول كل ما يتعلق به من النواحي الدينية، وقد صادفني مؤخراً بحث علمي بعنوان "الشيطان في الفكر الإسلامي"، كما طالعت في إحدى المكتبات عناوين لكتب منها "تلبيس ابليس"، و"إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان"..وغير ذلك كثير.. كما قرأت أن الشيطان ورد ذكره في القرآن الكريم ٨٨ مرة وفي الأحاديث الشريفة ١٠٧٠ مرة، وإبليس ذكر في القرآن ١١ مرة وفي الحديث ٥٦ مرة.

هل رأيت العفريت؟؟، أو هل شاهدت الجن؟؟

سؤال قررت ان أتوجه به الى كل من التقي به من الرجال والسيدات من مختلف الاعمار والثقافات الريفية والحضرية... ورغم غرابة السؤال فقد كانت الاجابة بالايجاب في نسبة تصل الى ٣ من كل ٤ من الريفيين.. وواحد من كل اثنين من سكان المدن على وجه التقريب.

ومن خلال الأستفسار عن تفاصيل رؤية الجن تبين أن البعض يصف اشكالا لمخلوقات غريبة شاهدها فى الظلام منهم من يقول انه راى كائنا يخرج من الماء أو شبحا يطول ويقصر أو أنه شاهد كلبا اسود . والتفسير المحتمل فى هذه الروايات أنها مجرد خداعات للنظر ساعد عليها عدم وضوح الرؤية فى الظلام مع حالة من الاستعداد النفسى لدى هؤلاء لتصور شكل معين مما يعطى الفرصة لان يتصور احدهم شجرة فى جانب الطريق على انها شبح مخيف أو حيوان اليف على انه كائن مخيف أو يتصور عصا أو حبل أو احد الاعمده على أنه يتلوى ويتحرك بصورة تثير الخوف . وهذا من وجهة نظرنا وتفسير للنسبة الكبيرة من الذين يؤكدون أنهم قد رأوا الجن رأى العين . ومن وجهة النظر النفسية كما فى المنظور القرأنى فان رؤية الجن أمر مستحيل تصديقا لقوله تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الأعراف:٢٧]

الشخصية .. من الاعتدال إلى الاضطراب

أكثر من ثلث سكان العالم يعانون من المرض النفسي .. الاضطرابات النفسية هي أمراض العصر الحالي .. وتشير إلي ذلك إحصائيات منظمة الصحة العالمية التي تذكر أن ٢٠ - ٣٠/ من الناس يعانون من القلق النفسي، و٧/ يعانون الاكتئاب. و٣/ الوسواس القهري، و١/ مرض الفصام. ويعرف الأطباء النفسيون أن هناك ما يقرب من ١٠٠ حالة مرضية تضمها قائمة التصنيف الحديث للأمراض النفسية، منها الحالات النفسية العصابية البسيطة القابلة للشفاء التام مثل القلق والهستريا والوسواس القهري ، ومنها الحالات العقلية الشديدة مثل الفصام (الشيزوفرنيا)، والهوس والاكتئاب والبارانويا (جنون العظمة). كما توجد حالات بينية نتيجة لعيوب في تكوين الشخصية وصفاتها هي اضطرابات الشخصية *Personality disorders* ، وهي التي نلقي عليها الضوء في هذا الموضوع .

من الصعب أن نحدد ماذا تعني الشخصية،ولكنها بصفة عامة تعبير عن الجوانب المختلفة للصفات التي يتميز بها الشخص، وتشمل السلوكيات والأفكار والعواطف والانفعالات، وهي الخصائص التي تستمر مع الفرد علي مدى السنوات في مواجهة المواقف والظروف المختلفة، كما أن الشخصية تشمل القيم والمناهج التي يتبناها الواحد منا وتشكل ما يعرف "بطابعه" أو أسلوبه في الحياة، والذي يعرفه به الآخرون من حوله .

تكوين الشخصية :

تتكون شخصية الفرد في سنوات العمر الأولي، وقد ثبت ذلك من خلال دراسات أجريت علي التوائم، حيث يبدو الكثير من التطابق بين سمات الشخصية

في كل من التوأمين اللذين ينتجان من تلقيح بويضة واحدة، كما أن الصفات المزاجية للأطفال في الشهور الأولي عقب الولادة والتي يمكن ملاحظتها في هدوء البعض منهم وميل البعض الآخر لك صبية والمشاكسة غالباً ما تستمر خلال فترة الطفولة وربما في مراحل العمر التالية .

ويؤثر في تكوين الشخصية الظروف والعلاقات الأسرية المحيطة بالطفل في سنوات العمر الأولي، فالحرمان العاطفي للطفل أو كثرة الخلافات بين الوالدين غالباً ما تلقي بظلالها علي تكوين الشخصية وقد تظهر آثارها لاحقاً في مرحلة المراهقة وما بعدها، ورغم أن العوامل الوراثية التي تنتقل عبر الأجيال من خلال الجينات التي تحمل الصفات الخاصة بكل فرد لها أهمية في تكوين الشخصية إلا أن الدلائل تؤكد أن التعلم في مرحلة الطفولة من المواقف التي تفرضها البيئة المحيطة قد يعدل في السمات الرئيسية للشخصية ، ومثال ذلك الطفل الذي يتميز بالطاعة والهدوء الشديد حين يتحول إلى طفل عدواني شرس إذا ما وجد أن هذا هو أسلوب التعامل بين أبويه وبقية أفراد أسرته .

الشخصية بين الاعتدال .. والاضطراب :

من الأمور الصعبة في ممارسة الطب النفسي الحكم علي شخصية أي فرد وتحديد سماتها لأن ذلك لا يكون ممكناً بأي حال من خلال الفحص في المقابلة النفسية، إن ذلك يتطلب معرفة تفاصيل كثيرة عن نمط هذا الشخص وسلوكياته علي مدى سنوات حياته السابقة، ويتطلب ذلك الحصول علي معلومات من مصادر محايدة حول ماضي هذا الشخص، ونظراً لوجود الكثير من الفوارق الفردية بين الناس فإنه من الصعوبة أيضا تحديد من هو الشخص " الطبيعي " أو السوي

الذي يتمتع بشخصية في حالة اعتدال حيث أن ذلك يخضع لأحكام تتفاوت من مجتمع إلى أخر.

وعلي وجه العموم فإن اضطراب الشخصية يكون من علاماته معاناة الشخص نفسه أو الآخرين من حوله، والآثار التي تنتج عن ذلك علي الفرد والمجتمع حين يختل التوازن النفسي له وتتغير سلوكياته بما لا يتوافق مع المحيطين به، ويختلف اضطراب الشخصية عن الاضطرابات النفسية الأخرى رغم تشابه الصورة العامة لكل منهما في أن الاضطراب النفسي يمكن تحديد بداية حدوثه في شخص كان يعرف بأنه لا يعاني من أي أعراض مرضية قبل ذلك، بينما ترجع بداية المعاناة في حالة اضطراب الشخصية إلى سنوات العمر الأولي وتستمر بعدها دون انقطاع، وهناك علاقة بين اضطرابات الشخصية والإصابة بالأمراض النفسية، مثال ذلك الارتباط بين الشخصية الوسواسية والإصابة بمرض الوسواس القهري، والشخصية المنطوية والإصابة بالفصام، ومن هنا تأتي أهمية تحديد نوع الشخصية للتنبؤ باحتمالات حدوث بعض الأمراض النفسية.

الشخصية "السيكوباتية" أو المضادة للمجتمع :

يعتبر هذا النوع من اضطراب الشخصية أحد أهم الأنواع وأكثرها شيوعاً حيث تقدر نسبة الأشخاص المصابين به بحوالي ٣٪ من الرجال و١٪ من النساء في الولايات المتحدة، ويشكل هؤلاء الأشخاص الغالبية العظمي من المجرمين والمدمنين والخارجين علي القانون ويشترك هؤلاء الأشخاص في ميلهم للعنف والعدوان علي الآخرين دون ادني شعور بالمسؤولية أو تأنيب الضمير، ويتجهون إلى تكرار ذلك من غير أن يتعلموا من تجاربهم السابقة، وعندما نتتبع تاريخهم السابق نجد سلسلة من الانحرافات وانتهاك القواعد والأعراف منذ الصغر، بدءاً من التمرد في مرحلة

الطفولة، والغياب عن المدرسة، والشغب في المنزل والشارع، ثم السلوك الجانح الذي يتخذ أشكالا متعددة مثل الانحرافات الجنسية، والسرقة، والكذب، والعنف ضد الآخرين، وإدمان المخدرات.

وترجع أسباب اضطراب الشخصية السيكوباتية المضادة للمجتمع إلى عوامل وراثية حيث يلاحظ وجود اكثر من حالة في الأسرة الواحدة، وفي بعض الحالات توجد تغيرات عضوية في الجهاز العصبي تظهر من خلال الفحص باستخدام رسم المخ، غير أن العوامل البيئية من حيث ظروف التربية المحيطة تعلل الأهم حيث يلاحظ أن معظم هذه الحالات تأتي من خلفية أسرية مفككة، وترتبط بمستويات اجتماعية متدنية، وتربية غير سليمة في الطفولة

وهناك عدة أنواع من الشخصية السيكوباتية تختلف فيما بينها، فمنها العدواني الذي يتجه إلى العنف، ويقوم بإيذاء نفسه والآخرين، ومنها السلبي الذي يكون تابعاً في الغالب لأشخاص آخرين يقودونه إلى الانحراف، أما النوع الثالث فيوجه طاقاته إلى أنشطة تبدو مفيدة يحقق بها لنفسه الكثير من الإنجاز.

أنواع أخرى من اضطراب الشخصية:

هنا نورد وصفاً موجزاً لعدد من الحالات تمثل اضطرابات خاصة في سمات الشخصية، ورغم أن البعض منها قد يتصف ببعض السمات المرغوبة إلا أنها عموماً أنماط خاصة تتميز بتجمع صفات تشكل معاً كل أنواع اضطراب الشخصية ومن أمثلتها:

- الشخصية الوسواسية: وتتميز بعدم المرونة، والتعصب، والميل إلى المثالية والكمال في كل شئ، ويظهر ذلك في المبالغة في النظام، والنظافة، والدقة

في العمل. وقد تكون بعض هذه الصفات مرغوبة. وهناك علاقة بين هذا النوع من الشخصية والإصابة بمرض الوسواس القهري.

- الشخصية الهستيرية : ويميل الأشخاص من هذا النوع من الشخصية إلى حب الاستعراض والظهور ولفت انتباه الآخرين. وعدم النضج في تصرفاتهم. كما يميلون إلى قابليتهم للإيحاء بسهولة. وهم أكثر عرضه للإصابة بالهستيريا .
- الشخصية الفصامية : وتتميز بالميل إلى العزلة والانطواء. والتحفظ الشديد في العلاقة مع الآخرين. حيث يفضل الأشخاص من هذا النوع الابتعاد عن الناس. وهذا يساعدهم علي الإنجاز والتفوق الدراسي إلى حد كبير. لكنهم قد يستغرقون في أحلام اليقظة حين يعيشون في عالمهم الداخلي. وهناك ارتباط بين هذا النوع من اضطرابات الشخصية وبين مرض الفصام .
- الشخصية الوحدانية ومنها النوع الذي يميل إلى الاكتئاب فتراه دائماً في حالة تشاؤم ويأس ويتوقع حدوث أسوأ الأمور. ولا يستطيع الاستمتاع بمباهج الحياة. وهناك نوع آخر متقلب الأهواء تتأرجح حالته المزاجية بين الكآبة والسرور. وهذه الأنواع ترتبط بالاضطرابات النفسية الوحدانية مثل مرض الاكتئاب والهوس .
- الشخصية البارانوية وتتميز بالشك وعدم الثقة في الآخرين. والحساسية المفرطة للنقد. والميل إلى المنافسة والغيرة. والشعور بالعظمة والتميز. ويرتبط هذا النوع من اضطرابات الشخصية بالفصام ومرض البارانويا (هذيان العظمة والاضطهاد).
- الشخصية البرجسية : وتشبه إلى حد كبير النوع السابق. وتتميز بالتركيز علي الذات والإحساس الزائد بأهمية النفس. والرغبة في لفت انتباه الآخرين. وعدم النقد . والأنانية دون اعتبار للآخرين .

الشذوذ الجنسي والانحرافات الجنسية الأخرى :

ظل الشذوذ الجنسي *Homosexuality* لمدة طويلة يصنف كأحد الانحرافات الجنسية والنفسية ، ورغم أن الجنسية المثلية أو ممارسة الشذوذ مع شخص من نفس الجنس من الأمور التي لا تتفق مع الأعراف والتقاليد في معظم المجتمعات بدرجات متفاوتة إلا أن هذه الحالة ينظر إليها في بعض الثقافات الغربية علي أنها أسلوب في التعبير الجنسي ، ولذلك فلا يعتبر الشذوذ أو ممارسة الجنسية المثلية في حد ذاته اضطراب نفسي إلا إذا اقترن بمشاعر سلبية مثل الرفض من جانب الشخص الذي يمارسه أو شعوره بالندم وتأنيب النفس إزاء ما يفعل ، فيعتبر في هذه الحالة يعاني من اضطراب نفسي .

والواقع أن الشذوذ الجنسي هو حالة مرضية حيث أن ممارسته قد تبدأ مبكراً في مرحلة الطفولة أو في فترة المراهقة ولا يكون بوسع الشخص التوقف أو التحكم في الدافع الداخلي لديه للحصول علي اللذة الجنسية من اللقاء من أشخاص من نفس جنسه ، وتكون هناك عوامل نفسية في مرحلة الطفولة وأسلوب التربية وبعض الخبرات الجنسية الأولي قد ساعدت علي بداية الحالة ، وكثير من الحالات يتوقفون عن هذه الممارسة بعد مرحلة المراهقة .

علاج اضطرابات الشخصية :

يبدى الكثير من الأطباء النفسيين شكهم في إمكانية علاج مثل هذه الحالات، فالشخصية يصعب أن تتغير سماتها مهما كانت الوسائل ومن المؤكد أن دور الأدوية في هذا المجال محدود للغاية، غير أن انضمام هذه الحالات إلى

مجموعات علاجية يفيد في تعليمهم بعض الاتجاهات المرغوبة وتخلي بعضهم عن الصفات المرضية غير المرغوبة .

وبالنسبة لحالات اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع "السيكوباتية" فإن العلاج يتم في وحدات للرعاية الداخلية تتميز بنظام صارم يشبه السجن ووسط علاجي اقرب إلى المستشفي للسيطرة علي السلوك والميول العدوانية لدى هذه الحالات .

المنظور القرآني :

وكلمة أخيرة حول الموضوع الذي نتحدث عنه هي أهمية الوازع الديني والتنشئة الأخلاقية السليمة في السيطرة علي النزعات المرضية للنفس الإنسانية، فقد ثبت أن الالتزام بروح الدين، والإيمان القوي الثابت بالله تعالي حين يتم غرسها في النفس منذ الصغر تكون وقاية من الانحراف والاضطراب، وصمام أمن للسلوك المعتدل السوي.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الشمس ٩ .١٠]

" ونفس وما سواها.. تشير هذه الآية في سورة الشمس التي بدأت بالقسم ببعض الظواهر الكونية مثل الشمس والقمر والليل والسماء والأرض الي أن يصل القسم الي النفس الإنسانية بجوانبها السلبية والإيجابية متمثلة في حالاتها من الفجور والتقوى ، ثم يأتي جواب القسم في الآية التالية بأن الفلاح والفوز طريقه هو تزكية هذه النفس وتطهيرها والسمو بها ، والعكس في المقابل في الانسياق وراء نزعات النفس الشريرة والتردي في هاوية الانحراف عن الفطرة السليمة بما يؤدي الي أسوأ العواقب .

ويرى علماء النفس أهمية الوازع الديني والتنشئة الأخلاقية السليمة في السيطرة علي النزعات المرضية للنفس الإنسانية ، فقد ثبت أن الالتزام بروح الدين والإيمان القوي الثابت بالله تعالي حين يتم غرسها في النفس منذ الصغر تكون وقاية من الانحراف والاضطراب ، وصمام أمن للسلوك المعتدل السوي

وفي الختام فان المنظور الإسلامي للنفس الإنسانية في حالاتها المختلفة سواء الاعتدال والسواء والإيجابية من ناحية أو الحالات الأخرى المقابلة من التردي في السوء والانحراف والابتعاد عن الطريق السوي ، والنموذج الذي ورد في إشارات القرآن الكريم لطبيعة النفس الإنسانية في تقلبها بين الاعتدال والاضطراب ، أو بين التقوى والفجور ، وبذلك يكون القران قد سبق علم النفس والطب النفسي الحديث في عرض هذه الحقائق التي تتعلق بالنفس الإنسانية والتي لا يزال علماء النفس والأطباء في سعي لكشف بعض من أسرارها ، فسبحان الله الخالق الذي أحاط بكل شئ علما .